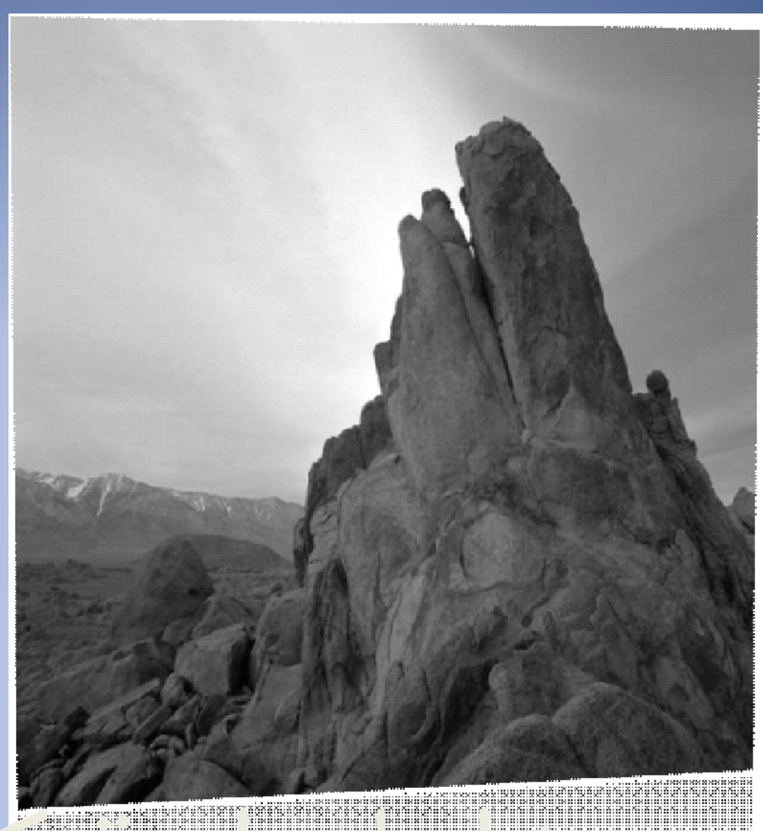


مدخل لدراسة كتاب التوسل والوسيلة شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله-

عبد اللّٰه بن محمد الغليفى

غليفة - مكة المكرمة

مدخل لدراسة كتاب
التوسل والوسيلة

لشيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله –

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

{يَا أيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تمُوتُنّ إلا وَأنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

{يَا أيُّهَا النّاسُ اتقُوا رَبّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالا ً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ إنّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}.

{يَا أيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلا ً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}.

أما بعد: فإن كتاب الله نور وهداية وحياة، وإنّ المتدبر في هذا القرآن العظيم ليجد فيه من الكنوز والمعاني والعلوم والمعارف بحوراً تتلاطم لا سواحل لها، إنه قرآن عجب لا يدرك غوره، ولا يستطيع الخلق من إنس وجان ولو اجتمعوا أن يحيطوا به.

وكتاب الله عز وجل هو الحكم بين الناس إذا وقع بينهم خلاف قال

الله تبارك وتعالى: {إِنّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشّرُ الْمُؤْمِنِينَ الّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحَاتِ أَنّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً}.

هذا وإن مما تنازع فيه بعض الناس موضوع التوسل، ولرفع هذا النزاع ليس لنا إلا أن نرجع إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولذا أحببت أن يكون بحثي في هذا الموضوع، راجياً أن يكون قاطعاً للخلاف في هذا الموضوع، وجامعاً للقلوب على ما هو الحق فيه، والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

ومن المعلوم أن التوحيد هو سر القرآن ولب الإيمان - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو دعوة جميع الرسل ومحور جميع الكتب السماوية، وهو صراط الله المستقيم، ولا سبيل إلى الجنة والنجاة من النار إلا به. ومن أجله شرع الجهاد وعلى أساسه ربى الأنبياء أتباعهم، أدرك ذلك سلفنا الصالح اهتداء بالقرآن والسنة وفهم الصحابة رضى الله عنهم وعملا بهذه الأصول الثلاثة المعصومة أحببت أن أجمع مقدمة لموضوع التوسل تكون مدخلا ً لدراسة كتاب شيخ الإسلام – رحمه الله – التوسل و الوسيلة ,المعروف بـ (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) وقد جمعته من كلام العلماء الذين أفردوا المسألة بالبحث والتحقيق سائلا الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منى هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ووسيلة لعفوه ومغفرته

نسأل الله أن يجعلنا من الدعاة إلى توحيده وممن يربط قلوب العباد به ونسأله سبحانه أن يجعلنا من أنصار دينه وسنة نبيه وعباده الموحدين

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أبو سلمان

عبد الله بن محمد الغليفى

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

فإن المستقرئ لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه بعث في قوم كانوا يغلون في حب الصالحين من الموتى غلوًا أخرجهم من دين أبيهم إبراهيم عليه السلام.

ومن المعلوم أن ملة إبراهيم عليه السلام كانت دعوة الناس إلى أن يعبدوا الله وحده.

ومن المعلوم أن العبادة أنواع فمنها: الإيمان والإسلام والإحسان و الصلاة والزكاة وسائر أركان الإسلام، والدعاء، والذبح، والنذر، والا ستعانة، والاستعاذة، والخوف، والرجاء والرغبة، والرهبة ... ف الجاهليون كانوا يصرفون بعض هذه الأنواع لغير الله عز وجل معتقدين أن أولئك الأولياء لهم وجاهة ومنزلة عند الله رفيعة، وأنهم يرفعون حاجاتهم إلى الله عز وجل مثال ذلكم: اللات الذي كان يدعى من دون الله عز وجل في الطائف، كان قبل موته رجلًا نافعًا للناس وخاصة الحجاج فقد كان يلت السويق - نوعًا من الطعام تحتسيه العرب - ويقدمه لهم فلما توفي صار شأنه كشأن أي رجل يعتقد الناس فيه الصلاح والخير فأسف عليه أهل زمانه

فصاروا يترددون إلى ضريحه ثم أقاموا عليه بناء ثم جعلوا يتوسلون به ويطوفون بقبره ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات، كما يطلب مثل ذلك من العزى ومناة كما قال الله عز وجل: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى} {وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى} {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} [النجم: 19 - 23] ، وكانوا مع هذا يعلمون أن هؤلاء المدعوين لم يخلقوا شيئًا من هذا الكون وأنهم لا يملكون رزقًا ولا حياة ولا موتًا وليس لهم من الأمر شيء. ق ال الله عز وجل عن المشركين: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: 31] ، أي: ما دمتم تعلمون أن الفاعل لهذا هو الله أفلا تتقون الله فتفردونه بالدعاء كما أفردتموه بالخلق. ومن هناك ندرك أن أولئك الكفار ما كانوا يرجون من وراء أولئك الصالحين إلا أن يقربوهم من الله عز وجل ظنًا منهم أن الله يستجيب لهؤلاء الصالحين الموتى فيقضي حاجات المستغيثين بهم، وهذا فيه غاية التنقص للإله الحق، ووجه ذلك: أن الرب تبارك وتعالى ليس كالبشر يحتاج إلى وزير أو مساعد أو غيره كما هو حال البشر لعدم إحاطتهم بكل شيء. ومن هنا ندرك من القرآن الكريم أن من دعا غير الله من الموتى وغيرهم فيما لا يقدر على تحقيقه إلا الله عز وجل فهو مشرك كافر بالله، قال الله عز وجل كاشفًا شبهتهم: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأعراف: 194] .

وقد نص الله تعالى على أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو قدر فرضًا وجدلًا أنهم سمعوا فلن يستجيبوا لهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بفعلهم هذا وسمي فعلهم هذا، شركًا بنص الآية وهي قوله تعالى في سورة فاطر: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ

خَبِيرٍ} [فاطر: 14] ، إذا كل من دعي من دون اللّه من الموتى فهو لا يسمع قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [النمل: 80] ، وقال: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: 22] ، ولا يعلمون الغيب، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب كما في سورة ا لأعراف: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} [الأعراف: 188] ، فكيف بمن دونه صلى الله عليه وسلم من البشر يعلم الغيب، فلا يمكن أن يعلم أن فلانا جاء إلى قبره فسأله، بل إنهم لا يسألون إلا معدومًا ولا يصح أن نطلب منهم الشفاعة بجاههم عنداللّه فإن اللّه تعالى كفر العرب لطلبهم من الموتى ذلك مع قولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3] ، أي: ما ندعوهم لأن الدعاء عبادة كما سيمر بك قريبًا، ودعاؤهم للشفاعة خطأ عظيم لأنه تعالى يقول: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255] ، وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28] ، وهو سبحانه لا يرضى طلب الشفاعة من الموتى لأن الميت لا حياة فيه ولا قدرة له فكيف تطلب من المعدوم، فلا تطلب إلا ممن يقدر عليها وهو اللّه تعالى.

فالشفاعة بناء على هذا شفاعتان:

(الأولى) شفاعة مثبتة: وهي خالصة وخاصة لأهل الإخلاص ولا تطلب إلا من اللّه، فإنه كما مر بك آنفا لا يشفع أحد لأحد إلا من بعد إذنه ورضاه تبارك وتعالى، وأن يكون راضيًا عن المشفوع له، فإذا كان المشفوع له موحدًا نفعته بإذن اللّه شفاعة الشافعين سواء كانت من الرسل أو النبيين أو الصديقين أو الأولياء والصالحين.

(الثانية) شفاعة منفية: وهي التي تطلب من غير اللّه سبحانه وتعالى كمن يطلبها من الموتى أو الغائبين أو الجن فإنها تطلب ممن لا يقدر عليها، فالميت مر في القرآن كما مر بك أنه لا يسمع والغائب لا يعلم الغيب وهكذا الأولياء والصالحون الموتى لا يعلمون أن أحدًا

جاء إلى قبورهم واستغاث أو استعان أو استشفع بهم ونحو ذلك، فعلى هذا لا يشفع للكافر والمشرك كمن يدعو غير الله أو يذبح أو ينذر لغيره تعالى.

والشفاعة إنما تطلب يوم القيامة ممن يأذن الله له بها من الأنبياء وا لأولياء والصالحين بدليل قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} [طه: 109] ، ومن الجائز أن يطلب من الأولياء والصالحين الأحياء الدعاء كما كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء حينما يحتاجون إلى الغيث والنصر على الأعداء ونحو ذلك.

أيها القارئ الفطن: قال سبحانه: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [النحل: 20] ، يعني: أن أولئك الأولياء والصالحين موتى وليسوا بأحياء فهم بهذا سألوا الأموات مالا يقدرون عليه بخلاف ما إذا كان الرجل الصالح حيًا غير ميت فإنه يجوز سؤال ما يقدر عليه كأن تقول له: يا شيخ اسأل الله لي كذا وكذا أو أعني يا فلان على قضاء ديني أو حمل متاعي على دابتي ونحو ذلك: مما يقدر عليه.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لحالة الجاهليين أولئك الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من الله تعالى، بعد هذا سؤال يطرح نفسه أو يمليه الواقع الذي يعيشه الكثير من أبناء المسلمين أ لا وهو:

ما الفرق بين أولئك الجاهليين وبين الذين يدعون الأولياء و الصالحين (الموتى) أو الغائبين من أهل زماننا؟

والجواب أنه ليس هناك فرق وذلك من وجوه:

أولها: أنهم لا يعتقدون أنها تملك من ملك الله شيئًا وكذلك الذين يذهبون إلى قبور الأولياء والصالحين من أهل زماننا يدعونهم يعتقدون نفس الاعتقاد في مثل الحسين بن علي، وعبد القادر الجي

لاني، والسيد البدوي رحمهم الله وسائر الصالحين وغيرهم.

ثانيًا: أن الجاهليين يعتقدون أن أولئك الصالحين من الموتى لهم جاه عند الله تعالى فيرفعون حوائجهم إلى الله عز وجل معتقدين أنهم يقربونهم إليه وكفرهم ربي تبارك وتعالى مع قولهم: {هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ} [يونس: 18] ، وقولهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى} [الزمر: 3] ، وكذلك أهل زماننا من رواد القبور يعتقدون في السادة والأولياء نفس الاعتقاد.

والدعاء من العبادة: إذ سمى الله تبارك وتعالى الدعاء عبادة حيث ق ال سبحانه: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60] ، ففسر تعالى الدعاء بالعبادة، بل جاء صريحا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبان والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدعاء هو العبادة» وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ق ال: «من لم يدع الله عز وجل يغضب عليه» .

كيف طبق الصحابة التوسل المشروع تطبيقًا عمليًا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؟

وقد فهم الصحابة هذا المعنى وأن من دعا غير الله تعالى فهو مشرك كافر وإن دعا ملكا مقربًا أو نبيًا مرسلًا، وما كانوا يفعلون هذا حتى في أحلك الظروف، ولنضرب على ذلك مثلًا من حياة الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قحط الناس في خلا فة عمر بن الخطاب فكان يطلب من العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستسقي لهم من الله تعالى حتى إذا كانوا في المصلى قال عمر: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا (1) فاسقنا ... فيسقون". (2)

فجعل العباس يدعو وهم يؤمنون، فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعلوا ما يفعله بعض أهل زماننا اليوم من الا ستغاثة أو طلب الشفاعة وهم أعرف الناس بالحلال والحرام فهم الذين صلوا خلفه وغزوا معه وحجوا معه وجلسوا في مسجده يسمعون خطبه وتأدبوا بآدابه وتعلموا منه صلى الله عليه وسلم.

كذلك لا يجوز شد الرحال إلى قبر نبي أو ولي ونحو ذلك لأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك المفضية إليه وللوسائل أحكام الغايات لذلك نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم ذلك فقال: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» . (1) وهذا يعني أن السفر لا ينشأ لأجل قبر صالح أو ضريح ولي ونحوه، ونحن نحب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من محبة النفس والوالد والولد والأهل والمال ونحب الصحابة ونحب الأولياء الصالحين ونوالي من والاهم ونعادي من عاداهم ونعلم أن من عادى لله وليًا فقد آذنه الله بالحرب، لكن قل لي بربك هل يقتضي حب هؤلاء ومحبتهم أن نعبدهم من دون الله ونتخذهم أندادًا لله ونتوسل بهم ونطوف بقبورهم ونقدم لهم النذور وننحر لهم القرابين.

ومن هنا ندرك أن دعاء أي مخلوق من دون الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل شرك به سبحانه وتعالى، وذلك كمن يأتون إلى قبور الأولياء والصالحين فيسألونهم حاجات شتى كشفاء مرضاهم ورد غائبهم وإنجاب عقيمهم ورد ضوالهم وإن قالوا إننا نعتقد أن كل شيء من الله سبحانه وتعالى، فهذا هو بعينه كما مر بك شرك الجاهليين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الشرك الأكبر.

ومن الأدلة على أن دعاء الأولياء من دون الله تعالى شرك أكبر:

قوله تعالى: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا} [الجن: 18] ، و (أحد) نكرة في سياق النهي يفيد العموم يعني لا يدعى إلا الله وحده، وأن

دعاءه لغير الله شرك أكبر محبط لأعماله كلها كما قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23] . والدليل على هذا أيضًا قوله تعالى في آخر سورة الأعراف: {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [الأعراف: 191] . والآيات بعدها إلى الآية (197) كلها نصوص صريحة في أن دعاء غير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الملة.

التوسل المشروع

وهو التوسل بذات الله تعالى كقولك: يا الله، وبأحد أسمائه كقولك: يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم، أو صفاته كقولك: اللهم برحمتك أستغيث ونحو ذلك أو بدعاء الرجل الصالح الحي الموجود فتقول يا شيخ ادع الله لي ونحو ذلك، كما استسقى الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم. وتوسل بالعمل الصالح كقصة أصحاب الغار الذين أطبقت عليهم صخرة فسألوا الله تعالى بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم وخرجوا يمشون، فلك أن تقول اللهم إني أسألك بحبي لنبيك وتوحيدي لك وطاعتي لك ولرسولك أن تمنحني كذا وكذا.

أما سؤالك الله تعالى بجاه النبي والولي أو الإقسام على الله تعالى بأحد من هؤلاء فهذه بدع مفضية إلى الشرك فهي محرمة وإن كانت لا تصل إلى الشرك لأن السائل سأل الله وحده، أما سؤالك الموتى أو الغائبين مباشرة فهذا هو الشرك الأكبر.

وقد أرشد سبحانه عباده إلى أن يسألوه وحده ولا يسألوا أحدًا غيره ، وقد وعد أن يجيب سائله - ولو بعد حين - قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186] . وقال تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60] . وأرشدنا أن لا نستعين إلا به فنحن نقول في كل ركعة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5] . ومع هذا تجد الكثير ممن يصلون إذا أبطأ عليه تحقيق مطلب له من المطالب جعل يلجأ إلى القبور والأضرحة، والله تعالى قادر أن يجيبه في

الحال ولكن هذا الابتلاء والامتحان للعباد فقد اقتضت حكمته تعالى فتنة العباد واختيارهم فلربما أخرت إجابة السائل على مراده ليعلم صدقه إن كان صادقًا فيثبت عند الشدائد فلا ينزلها إلا في الله فلا يسأل غيره وإن أطبقت الجبال على رأسه أو انشقت له الأرض لتبتلعه، وهذا قوي الثقة بالله تعالى قوي الاستعانة والتوكل عليه فحري به أن يجاب.

وآخر مفتون فعند الامتحان يضعف إيمانه ولا يرقي به إلى الا ستعانة به تعالى فزين له الشيطان أن ينزل حاجته بالأضرحة و القبور ليخرجه من دينه ويبر به قسمه الذي أخذه على نفسه حين ق ال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: 83: 82] .

ومصداق ذلك الابتلاء للمخلوقين قوله تعالى: {الم} {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: 1 - 3] ، وقال تعالى: {أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ} [التوبة: 126] . لا نقتدي إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن الفتن أن ترى أممًا وشعوبًا وأناسًا ربما يقال إنهم من أصحاب المال والجاه والسلطان أو أنهم عند الناس من أهل العلم بمظاهرهم تجدهم يفعلون ما يفعل الجهلة عند القبور، ولربما سألهم الناس عن حكم هذا العمل فيفتون الناس بأن هذا ليس الشرك المنهي عنه، ف الناس يقتدون بهم في ذلك، ولكن العاقل لا يفعل هذا، لأنه يقول: أ لا يسعني ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم؟

فما دام أن الرسول لم يدع غير الله في كل حياته ولم يعرف عنه ذلك لا في السلم ولا في الحرب ولا في السراء ولا في الضراء بل الثابت عنه صلى الله عليه وسلم أنه إذا ألمت به ملمة أو نزلت به

نازلة قال لبلال: "يا بلال أرحنا بها"، أي: بالصلاة، وفي كل صلاة نقرأ {إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5] ، أي: لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك وقد قال تبارك وتعالى في القرآن الكريم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21] . ولم يقل: لقد كان لكم في أهل زمانكم أسوة حسنة، وانظر إلى بني إسرائيل حين أطاعوا علماءهم وعبادهم في معصية الله تعالى ماذا قال الله تعالى عنهم: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ} [التوبة: 31] ، فلما سمعها عدي بن حاتم قال: يا رسول الله إنا لم نكن نعبدهم - إذ كان نصرانيًا قبل إسلامه - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أليسوا يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: بلى قال: فتلك عبادتهم".

" أخي في الله

ما الفرق بين رجل يقول: إن عيسى ابن الله وله شيء من الألوهية كما هو عند النصارى وبين رجل يدعو غير الله معتقدًا أنه يجيب سائله، وهذا مأخذ يأخذه النصارى على بعض من ينتسب للإسلام من أهل هذا الزمان، فهم بفعلهم محسوبون على المسلمين مع أنهم ليسو منهم لتوسلهم البدعي الشركي بالأموات والأولياء والصالحين. ويؤسفنا أن بعض النصارى ممن يقرأ عن حياة الجاهليين أجدادنا يقول هاهم رجعوا إلى وثنية آبائهم العرب، ونسوا أو تناسوا بأنهم وقعوا بأكبر حين نسبوا لله تعالى الولد، تعالى الله عن أن يلد أو يولد وقد قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11] . وقال سبحانه: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا} {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا} {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} {وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} [مريم: 88 -92] .

لما تركنا الهدى حلت بنا نقم ... وهاج للظلم والطغيان طوفان

دعاء غير الله تعالى يحبط الأعمال الصالحة

أيها الإخوة: لا شك أن دعاء غير اللّه تعالى هو الضلال بعينه قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [الأحقاف: 5] . واسمع ما يقال لهم عند الموت حين تتوفاهم الملائكة قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [لأعراف: 37] . والكافر حابط عمله كما قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23] . وذلك لأنه خالف أمر اللّه وأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فمخالفة أمر اللّه تعالى كما مر معك في الآية السابقة ومخالفة أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، تكمن في معصيته، حيث أمر أن لا يسأل إلا اللّه تعالى فقال صلى اللّه عليه وسلم: «إذا سألت فاسأل اللّه وإذا استعنت فاستعن باللّه» . وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع، (7957) . "> و الشرك لا يقبل بحال وتحبط الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج قال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر: 65] . وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} [المائدة: 72] .

فيا أخي المسلم احذر من الشرك، ووسائل الشرك كالبناء على القبور مساجد أو غيرها، أو أن تقصد قبرًا يدعى من دون اللّه أو يذبح لصاحبه، فإن الشرك خافه أبونا إبراهيم عليه السلام على نفسه قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: 35] . أي جنبنا أن ندعوها من دونك يا رب، والأصنام يعلمون أنها جامدة لكنها تمثل أشخاصا صالحين من ورائها.

قال الإمام إبراهيم التيمي (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟) .

وعليك أخي المسلم أن تدعو الناس إلى ترك مثل هذه السخافات و العادات الجاهلية الشركية التي لا تختلف عما كانت عليه الجاهلية ا

لأولى، وأن يخلصوا الدعاء لله عز وجل ويستجيبوا لبارئهم تعالى حيث قال: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60] . وقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186]

من وسائل الشرك

ولنعلم أن من وسائل الشرك الصلاة في المساجد التي فيها قبور وأن الصلاة باطلة فيها لقول النبي صلى الله عليه وسلم «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»

وموضوع التوسل من أهم المواضيع، بل هو من أعظمها خطراً، وهو من الأمور التي يخطئ فيها كثير من الناس، وذلك لعدم معرفتهم سبل التوسل الصحيحة المشروعة، وكل ذلك ناشئ عن فهم خاطئ لحقيقة التوسل، أو تصور غير صحيح، أو تقليد أعمى.

والمتدبر لكتاب الله عز وجل يجد أن الكتاب الكريم قد أبان في مواضع كثيرة منه السبل المشروعة في التوسل إلى الله جل وعلا، وهذه السبل هي التوسل إلى الله جل وعلا بالإيمان الصادق الصحيح، والتوسل إلى الله تبارك وتعالى بما شرع من أعمال ص الحة، والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، و التوسل إلى الله تعالى بفضله ورحمته وإحسانه، والتوسل إلى الله عز وجل بدعاء الصالحين الأحياء من عباده.

هذا ومن المعلوم أن كثيراً من عباد القبور اليوم، والمستغيثين بالأ ولياء والصالحين، إنما كان سبب انحرافهم هذا هو تعظيمهم للصالحين، تعظيماً بلغ حدّ الغلو، وإذا ما نوقش أحدهم ونهي عما يقع منه من شرك يقول: إنه لا يعبد هذا الصالح وإنما يتوسل به إلى الله تعالى والله جل وعلا عند ما أرشد إلى دعائه لم يجعل بيننا وبينه وسائط ووسائل من الخلق في ذلك {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا

بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} 3 {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} 4.

هذا وإن ما يقوله بعض مدعي الإسلام اليوم ممن يقع في عبادة القبور هو ما قاله بالأمس كفار قريش {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} 1 فإنهم لم يكونوا يعتقدون أن أصنامهم تخلق وترزق وتمرض وتشفي {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} 2 {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} 3

هذا ومن المعلوم أيضاً أن أول شرك وقع في الأرض وهو شرك قوم نوح عليه السلام إنما كان بسبب تعظيم الصالحين، والتوسل بهم، فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح إلى العرب بعد؛ أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت" 4.

وأورد ابن حجر رحمه الله عن السهيلي رحمه الله تعالى في التعريف "إن يغوث هو ابن شيث بن آدم فيما نقل، وكذلك سواع وما بعده، وكانوا يتبركون بدعائهم، فلما مات منهم أحد مثلوا صورته فتمسحوا بها إلى زمن مهلائيل فعبدوا بتدريج الشيطان لهم" 5.

وهكذا نرى الشرك إنما دخل على الناس من باب الصالحين والغلو

فيهم، وتصوير صورهم، والتبرك بهم، والتوسل بهم، ومن هنا يتبين عظيم حاجتنا إلى معرفة سبل التوسل الصحيحة، وهي بحمد الله تعالى بينة واضحة في كتاب ربنا الذي ما فرط الله عز وجل فيه من شيء، على أن أعظم ما يتوسل به المرء هو التقرب إلى الله عز وجل بصالح الأعمال، وجليل الخلال،

هذا وإن التوسل إلى الله عز وجل والتزلف إليه بعمل محابه، واجتناب موجبات سخطه ما زال ديدن المؤمنين، وخاصة النبيين من عباد الله عز وجل وجل، يقول الله جلت قدرته: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً. قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلا ً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً}

وقبل الخوض في هذا الموضوع بتفصيل، أحب أن ألفت النظر إلى سبب هام من أسباب سوء فهم كثير من الناس لمعنى التوسل، وتوسعهم فيه، وإدخالهم فيه ما ليس منه، وذلك هو عدم فهمهم لمعناه اللغوي، وعدم معرفتهم بدلالته الأصلية، ذلك أن لفظة "التوسل" لفظة عربية أصيلة، وردت في القرآن والسنة وكلام العرب من شعر ونثر، وقد عنى بها: التقرب إلى المطلوب، والتوصل إليه برغبة، قال ابن الأثير في "النهاية": "الواسل: الراغب، والوسيلة: القربة والواسطة، وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل" وقال الفيروز أبادي في "القاموس": "وسل إلى الله تعالى توسيلا ً: عمل عملا ً تقرب به إليه كتوسل" وقال ابن فارس في "معجم المقاييس": "الوسيلة: الرغبة والطلب، يقال: وسل إذا رغب، والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، وهو في قول لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدْرُ أمرهم ... بلى، كل ذي دين إلى الله واسلُ"

وقال الراغب الأصفاني في "المفردات": "الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة، لتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالى: {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} ، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعمل والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى".

وقد نقل العلامة ابن جرير هذا المعنى أيضاً وأنشد عليه قول الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا ... وعاد التصافي بيننا والوسائل

هذا وهناك معنى آخر للوسيلة هو المنزلة عند الملك، والدرجة و القربة، كما ورد في الحديث تسمية أعلى منزلة في الجنة بها، وذلك هو قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة"

نسأل الله أن يرزقنا شفاعة نبينا وحبيبنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن يوردنا حوضه وأن نشرب من يده الشريفة شربة ماء لا نظمأ بعدها أبدا اللهم آمين .

معنى التوسل:

الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، من وسل يسل أي عمل ما يتقرب به، ويكون له به منزلة، والوسيلة: الدرجة، والوسيلة: القربة.

والوسيلة: هي التوصل إلى الشيء برغبة.

وأنا متوسل إلى الله بكذا، وواسل، ووسلت إليه، وتوسلت إلى الله بـ العمل أي تقربت، قال لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي دين إلى الله واسل1

قال الحلبي: "وقال بعضهم: حقيقة التوسل إلى الله مراعاة سبيله بـ العلم والعبادة وتحري أحكام الشريعة، وعلى هذا فهي مقاربة للقربة" .

وبهذا يتبين أن الوسيلة: هي التقرب إلى الله تعالى بما يحب من الا عتقادات، والأعمال، والأقوال، وسؤاله تعالى بأسمائه وصفاته وبفضله وكرمه.

فمن أراد التوسل إلى ربه عز وجل فإنما يصل إليه عن طريق العمل بشريعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} 2 إن الرب جل وع لا يرشد عباده المؤمنين، بل يأمرهم بتقواه تبارك وتعالى، فباتقائهم ربهم يكونون قد ابتغوا إليه جل وعلا الوسيلة والطريقة التي تقربهم منه، وترضيه عنهم، إذ التقوى إنما هي العمل بما يحبّ وترك ما يكره، فهذا أعظم الوسائل وأقربها لإدراك الفلاح الذي هو الظفر بـ المطلوب المرغوب، والنجاة من المخوف المرهوب، نسأل الله تعالى أن يوفقنا لسلوك ما يحب، إنه سبحانه خير مسؤول ومجيب.

قال ابن كثير: "يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم، وترك المنهيات، وقد قال بعدها: {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: "أي القربة" وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن ... وقال قتادة: "وتقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه" وقرأ ابن زيد {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً}

معنى التوسل لغة:

قال الجوهري في صحاحه: ((الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير. و

الجمع: الوسيل والوسائل والتوسل واحد وسل فلان إلى ربه وسيلة وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل)).

وفي القاموس: ((الوسيلة والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة و القربة ووسل إلى الله توسيلا ً: عمل عملا ً تقرب به إلى الله كتوسل. والواسل: الواجب والراغب إلى الله تعالى)).

وفي المصباح: ((وسلت إلى العمل. أسل من باب وعد رغبت وتقربت ومنه اشتقاق الوسيلة. وهي ما يتقرب به إلى الشيء. و الجمع: الوسائل. والوسيل: قيل جمع وسيلة، وقيل لغة فيها، وتوسل إلى ربه بوسيلة: تقرب إليه بعمل)). وكل ما تقدم في معنى الوسيلة ، قال سائر علماء اللغة وهذا ما اتفق عليه الجميع.

معنى التوسل شرعاً:

هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله وبكل عمل يحبه الله ويرضاه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الوسيلة هي القربة وقال قتادة في تفسير القربة أي تقربوا إلى طاعة بطاعته والعمل بما يرضيه.

وهكذا ... فإن كل ما أمر به الشرع من الواجبات والمستحبات فهو توسل شرعي ووسيلة شرعية.

قال الله تعالى في سورة المائدة الآية / 35 /:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدا في سبيله لعلكم تفلحون)

وقال جل وعلا في سورة الإسراء:

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ً / 56/ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) /57/

يتضح مما تقدم أن التوسل لغة وشرعاً ... لا يخرج عن معنى التقرب أو ما يؤول من القربى إلى اللّه تعالى بما يرضاه من الأعمال الصالحة.

وإنك لترى يا أخي المسلم أن آية المائدة ... يحض اللّه فيها عباده على أن يبتغوا إليه الوسيلة أي التقرب إليه بالإيمان والتقوى و الجهاد في سبيله ولهم الفلاح أي الجنة والجنة ولا شك أقصى غايات الفلاح والنجاح.

وإنك لترى أيضاً في سورة الإسراء الآيتين 56 و 57 أن اللّه تعالى يلفت أنظار المؤمنين إلى أن عمل المشركين بالتزلف إلى اللّه بأشخاص المخلوقين لا يفيدهم شيئاً لأنهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله فدعاؤهم بالذوات أو التوسل بهم ... لا يقدم ولا يؤخر ولا يوصلهم إلى مبتغاهم لأنهم أخطأوا الطريق إلى اللّه.

معنى التوسل في القرآن

إن أول ما يتلوه قارئ كتاب اللّه تعالى أمّ القرآن، والفاتحة قد اشتملت على توسلات لله تعالى هي من أعظم ما يتوسل به العبد لربه تعالى {الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ. الرّحْمَنِ الرّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضّآلِّينَ}

الحمد وأول ما يتوسل به العبد هو حمده لربه جل وعلا وشكره له بوصفه رباً للعالمين، أي خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم ومصرف أحوالهم، الذي يربيهم بنعمه وإحسانه، وهو جل وعلا الرحمن الذي شملت رحمته كل خلقه من برّ وفاجر في الدنيا، وهو جل وعلا الرحيم بعباده المؤمنين كما قال تعالى {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً} 1 فهذا توسل بأسمائه تعالى الحسنى وبصفاته العلى، وهو جل وعلا م الك يوم الدين وهو يوم القيامة حيث يجازي الخلق بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ثم يتوجه العبد إلى ربه ويتوسل إليه

بتوحيده له قائلا ً: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.} أي نخصك يا ربنا بـ العبادة، ونفردك بها، فلا نعبد أحداً سواك، ولا نتوجه إلى أحد غيرك كائناً من كان، ونخصك بالاستعانة على العبادة وعلى أمورنا كلها، فلا نتوكل على أحد سواك.

وبعد هذه التوسلات العظيمة بشكره جل وعلا وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبتوحيده تبارك وتعالى يدعو العبد قائلا ً: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ} فدل ذلك على أن أعظم ما يسأله العبد ربه إنما هو الهداية إلى صراطه المستقيم الذي هو دين الله الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل به كتابه الكريم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين ويخالف صراط المغضوب عليهم ، وهم اليهود الذين آتاهم الله علماً ولكنهم لم يشكروه بالعمل به، ويخالف صراط الضالين الذين عبدوا الله على غير الهدى، فعبدوه بالمحدثات و المبتدعات، فعملوا بغير علم، ومن هنا كان ضلالهم.

ولما كان هذا من أعظم ما يسأله المرء فرضت قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة، وجعلت ركناً من أركان الصلاة، فيدعو المسلم بهذا الدعاء العظيم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة، ويتعلم المؤمن بذلك كيف يدعو ربه، وكيف يتوسل إليه التوسل الشرعي الصحيح، وكيف يتملق ربه، ويتزلف إليه، ويتقرب إليه بما يحب ويرضى

معنى الوسيلة في القرآن:

إن ما سبق من بيان معنى التوسل هو المعروف في اللغة، ولم يخالف فيه أحد، وبه فسر السلف الصالح وأئمة التفسير الآيتين الكريمتين اللتين وردت فيهما لفظة "الوسيلة"، وهما قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} 1 وقوله سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ

رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً} 2.

فأما الآية الأولى، فقد قال إمام المفسرين الحافظ ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله فيما أخبرهم، ووعد من الثواب، وأوعد من العقاب. "اتقوا الله" يقول: أجيبوا الله فيما أمركم، ونهاكم بالطاعة له في ذلك. "وابتغوا إليه الوسيلة" يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

ونقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن: معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد، ونقل عن قتادة قوله فيها: "أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه" ثم قال ابن كثير: "وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه

أقسام التوسل

التوسل إطلاقاً يدخل معناه: كل توسل شرعياً كان أو بدعياً. فلأجل التفريق بينهما يجب أن نعلم أقسام التوسل حتى يكون لدينا ميزان نزن به الأشياء فنعرف غثها سمينها فإذا عرفنا ما هو التوسل الشرعي وما هو التوسل الغير شرعي وذلك بمعرفة الأدلة عندها نستطيع أن نأخذ لأنفسنا ما يحلو ونكون بعدها مسؤولين عما أخذنا .. إن الله كان خيراً فخير أو شراً فشر (فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (1)

ينقسم التوسل من حيث هو إلى قسمين:

1 - : توسل مشروع.

2 - : توسل ممنوع.

الكلام على التوسل المشروع

تعريفه -: التوسل المشروع هو كل ندبنا الله تعالى إليه في كتابه وحثنا عليه ووضحه لنا رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - أي ما كان موافقاً لما شرع الله من التقرب إليه بالطاعات والأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها ولا يحب ولا يرضى إلا الذي أمر به:

1 - : توسل المؤمن إلى الله تعالى: بذاته العلية، وبأسمائه الحسنى، وبصفاته العلى.

2 - : توسل المؤمن إلى الله تعالى بأعماله الصالحة.

3 - : توسل المؤمن إلى الله تعالى بدعاء أخيه المؤمن له.

1-التوسل بأسماء الله وصفاته

التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا:

كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني. أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي. ومثله قول القائل: اللهم إني أسألك بحبك لمحمد صلى الله عليه وسلم. فإن الحب من صفاته تعالى.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله عز وجل: {وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه [أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلا ً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: ((لقد سألت الله عز وجل باسمه الأعظم))] أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -[أنه كان مع رسول الله - صلى

اللّٰه عليه وسلم - جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللّٰهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال و الإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم -: ((لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي))] أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي.

2- التوسل إلى الله بالإيمان والعمل الصالح

التوسل إلى اللّٰه تعالى بعمل صالح قام به الداعي:

كأن يقول المسلم: اللّٰهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي.. أو يقول: اللّٰهم إني أسألك بحبي لمحمد صلى اللّٰه عليه وسلم وإيماني به أن تفرج عني.. ومنه أن يذكر الداعي عملا ً صالحاً ذا بال، فيه خوفه من اللّٰه سبحانه، وتقواه إياه، وإيثاره رضاه على كل شيء، وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلى ربه في دعائه، ليكون أرجى لقبوله وإجابته.

ومن هنا تأتى قيمة الإخلاص والصدق في العمل وأن على المسلم أن يكون له خبيئة بينه وبين ربه تشفع له

وآيات القرآن الكريم يكثر فيها ذكر توسل المؤمنين بإيمانهم، و التوسل إلى اللّٰه عز وجل بالإيمان به، وبما أوجب الإيمان به، وكذا التوسل إلى اللّٰه تعالى بالأعمال الصالحة، والقربات النافعة، فهذه توسلات صحيحة نافعة، دل عليها القرآن الكريم، قال تعالى حكاية عن المؤمنين: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} 1.

قال ابن كثير رحمه اللّٰه: "يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا} أي آمنا بك وبكتابك ورسولك {فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} أي بإيماننا بك، وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا بفضلك وبرحمتك"2 فهؤلاء الصالحون توسلوا إلى ربهم جل وعلا بإيمانهم بكتاب ربهم

ورسله، ذلك الإيمان الذي يدفع صاحبه إلى الأعمال الصالحة، وفعل ما يرضي الرب جل وعلا

حديث الغار

ومن السنة قوله - صلى اللّه عليه وسلم - فيما رواه عنه ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - يقول:

[((انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا اللّه بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم:

((اللّهم كان لي أبوان شيخان كبيران كنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا ما لا فنأي بي طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناماً فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر - زاد بعض الرواة - ((والصبية يتضاغون عند قدمي)) فاستيقظا فشربا غبوقهما اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة.

فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منها)) قال النبي - صلى اللّه عليه وسلم - ((قال الآخر: اللّهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي .. فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني وأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تجلي بيني وبين نفسها ... ففعلت. حتى إذا قدرت عليها ... قالت: لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها ... فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها: اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ((وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرتهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ... فثمرت أجره ... حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين ... فقال لي: يا عبد الله أد لي أجري. فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق!!! فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي؟!! فقلت إني لا أستهزئ بك. فأخذه كله ... فساقه فلم يترك منه شيئاً اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة ... فخرجوا يمشون))]. رواه البخاري ومسلم و النسائي.

3- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح:

النوع الثالث من التوسل، وهو توسل المؤمن لأخيه المؤمن وهو على نوعين:

1 - طلب المؤمن من أخيه المؤمن متوسلا ً بدعائه إلى الله أن يقضي حاجته كأن يقول مثلا ً: أدع الله لي أن يعافيني أو يقضي حاجتي وما أشبه

2 - دعاء المؤمن لأخيه المؤمن دونما طلب المدعو له كأن يراه مثلا ً في ضيق ... فيدعو الله له أن يفرج عنه إن كان ذلك في حضور المدعو له أو كان ذلك في ظهر الغيب كالدعاء في الغيبة أو كصلاة الجنازة والدعاء عند زيارة قبور المؤمنين. ولا فرق في أن يدعو الأ على للأدنى أو الأدنى للأعلى فكل ذلك جائز .. ومقبول إذا يشاء ربنا ويرضى.

فالمسلمون كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء نبيهم عليه الصلاة والسلام في حياته ... في الاستسقاء وغيره ... فكان يدعو لهم فتستجاب دعوته عاجلا ً أو آجلا ً كما كان هو أيضاً ... يطلب من أمته جميعاً أو أفراداً ... أن يدعوا له. كالصلاة عليه من كل من يسمع الأذان من أمته فيقول مثلماً يقول المؤذن ثم يصلي ويدعو

اللّه أن يعطيه الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعده كما أنه صلى عليه وسلك طلب من عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - يوم عمرته أن يدعو له.

كأن يقول المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب اللّه تبارك وتعالى، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى اللّه، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعوا له ربه، ليفرج عنه كربه، ويزيل عنه همه. فهذا نوع آخر من التوسل المشروع، دلت عليه الشريعة المطهرة، وأرشدت إليه، وقد وردت أمثلة منه في السنة الشريفة، كما وقعت نماذج منه من فعل الصحابة الكرام رضوان اللّه تعالى عليهم والدليل على ذلك : -

قوله تعالى:وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللّه ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه تواباً رحيما (64) ... النساء

هذه الآيّة الكريمة توضح بصراحة: أن اللّه سبحانه وتعالى ... هو التواب الرحيم ومهما اقترف عباده من الذنوب والخطايا ... ثم رجعوا إليه وأنابوا ... فإنه يتوب عليهم ويغفر لهم ذنوبهم على أن يعزموا على عدم العودة إلى الذنب. ومن رحمته بعباده أنه يدلهم على الطريق الذي إذا سلكوه ... يوصلهم إلى عفوه ومغفرته لأن لكل شيء سبباً ففي هذه الآية يدلهم على هذه الأسباب ... فإنه تعالى يخبر في محكم آياته أنه لم يرسل إلى الناس من رسول إلا ليطاع ويستجيبوا لرسالته التي أرسلها إليهم فمن أطاع له عند اللّه تعالى الدرجات العلى ومن ظلم نفسه بالإعراض ... أو المعصية ... فقد فتح له باب العودة إليه تعالى إنما هذا الطريق له سبل تؤدي إليه فدلهم عليها بقوله جل وعلا: (... ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه تواباً رحيماً).

وذلك بأن يحضروا إلى الرسول الأعظم - صلى اللّه عليه وسلم -

ويستغفروا الله في مجلسه ثم يسألوه - صلى الله عليه وسلم - أن يستغفر لهم أيضاً وهكذا ... فإن استغفارهم ربهم ثم استغفار الرسول لهم ... يكونان سبباً في توبته تعالى عليهم ورحمته بهم. فثبت أن الله تعالى أرشدهم إلى توسلين يستمطرون بهما توبة الله ورحمته.

الأول: استغفارهم الله لأنفسهم في مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم

الثاني: سؤالهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يستغفر الله لهم فالأول كان توسلا ً بالأعمال الصالحة

... وهو استغفارهم الله الذي هو عمل صالح والثاني كان توسلا ً بدعاء المؤمن لأخيه وكلا التوسلين كانا بإرشاد من الله تعالى فهل من دليل على مشروعية هذين التوسلين أدل من دلالة الله عليهما في هذه الآية ... ؟

ومما يجب التنبه إليه والتنويه عنه هو أن الذهاب إلى الرسول واستغفار الله تعالى في مجلسه ثم سؤالهم رسول الله الاستغفار لهم واستغفاره - صلى الله عليه وسلم - لهم فعلا ً.. كل هذا .. إنما ولا شك في حياته - صلى الله عليه وسلم - فلا يجوز لأحد بعد وفاته أن يأتي قبره - صلى الله عليه وسلم - ويسأله أن يستغفر الله له لأن استغفاره - صلى الله عليه وسلم - قد انقطع بوفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى - بأبي هو وأمي –صلى الله عليه وسلم 0

(قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين (97) قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم (98) ... يوسف

وإننا نستنتج من استغفاره لهم صحة ومشروعية طلب الدعاء من الغير أي مشروعية توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن له

استسقاء الصحابة بدعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - في حال حياته

وعن عبد اللّه بن زيد قال:رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حين استسقى لنا أطال الدعاء وأكثر المسألة قال: ثم تحول إلى القبلة وحول رداءه فقلبه ظهراً لبطن وتحول الناس معه] أخرجه أحمد بسند قوي.

حديث الاستسقاء بدعاء العباس - رضي اللّه عنه - بعد وفاة رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم -

عن أبي الزبير عن بن صفوان بن عبد اللّه بن صفوان، قال:

[قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحج العام ... فقلت: نعم. فقالت: ادع لنا بخير ... فإن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - كان يقول: ((دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة. عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل: آمين ولك بمثل)) قال: فخرجت إلى السوق ... فلقيت أبا الدرداء. فقال لي مثل لك يرويه عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم -] أخرجه مسلم.

وهذا رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - يرشد أصحابه - رضي اللّه عنهم - أن يطلبوا الدعاء من ((أويس القرني)) إذا ما أدركوه ... أي أن يتوسلوا إلى اللّه تعالى بدعاء أويس لهم لأنه رجل - كما أخبرهم رسول اللّه - مستجاب الدعوة.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الحافظ ابن عساكر رحمه اللّه تعالى في "تاريخه 1/151/18" بسند صحيح1 عن التابعي الجليل سليم ابن عامر الخبَائري: أن السماء قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود الجُرَشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى الناس، فأمره معاوية فصعد على المنبر، فقعد عند رجليه، فقال معاوية: اللّهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللّهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي، يا يزيد ارفع يديك إلى اللّه، فرفع يديه،

ورفع الناس أيديهم، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.

فهذا معاوية - رضي الله عنه - أيضاً لا يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، لما سبق بيانه، وإنما يتوسل بهذا الرجل الصالح: يزيد ين الأ سود رحمه الله تعالى، فيطلب منه أن يدعو الله تعالى، ليسقيهم ويغيثهم، ويستجيب الله تبارك وتعالى طلبه.

التوسل الممنوع

تعريف التوسل الممنوع

هو تقرب العبد إلى الله تعالى بعمل مخالف لكتابه مخانف لسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - مثاله:

كالتوسل إلى الله بذوات مخلوقات في السموات أوالأرض من الملا ئكة والنبيين غير متابعة لهم في أعمالهم الصالحة ومن الأمكنة الفاضلة كالكعبة والمشعر الحرام والأزمنة الفاضلة كشهر رمضان و القدر وأشهر الحج والأشهر الحرم من غير إعطائها ما شرع الله فيها من العمل وما قضى فيها من الحرمة.

حكم التوسل الممنوع

حكم التوسل الممنوع حرام وتتراوح حرمته بحسب نوعيته وأوجهه.

والحرام: أعلاه الكفر وأدناه أي عمل فيه مخالفة شرعية ويمنع فاعله. ويتراوح المنع من الاستتابة أو القتل إلى قصاص رادع للحد الذي يراه إمام المسلمين أنه مانع من مقارفة الذنب مع تعاهده بـ النصح والإرشاد والإقناع بالحجة والبرهان

أوجه التوسل الممنوع

إن للتوسل الممنوع عند من يستحلونه أوجهاً ثلاثة:

الوجه الأول: التوسل إلى الله تعالى بذات وشخص المتوسل به.

كأن يقول المتوسل: اللّهم إني أتوسل إليك بفلان ... .

- ولا يعني إلا ذاته وشخصه - أن تقضي حاجتي ...

الوجه الثاني: التوسل إلى الله تعالى بجاه أو حقه أو حرمته أو بركته كأن يقول المتوسل:

اللّهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك أو بحقه عليك ... أو بحرمته ... أو بركته أن تقضي حاجتي.

الوجه الثالث: الإقسام على الله بالمتوسل به كأن يقول:

اللّهم أقسم عليك بفلان أن تقضي لي حاجتي ...

وقد أجاز المستحلون للتوسل الممنوع كل هذه الأوجه الثلاثة ... و الحقيقة أنها جميعاً باطلة وفاسدة ومخالفة لأصول الدين ونصوصه.

فالتوسل بالعبد الصالح من غير متابعة له في الأعمال الصالحة لا يجوز أن يكون وسيلة فهذا التزلف بذوات الأشخاص رده الله سبحانه ولم يقبله. وإنه تعالى قد عاب عليهم في هذه الآية أمرين اثنين: عاب عليهم عبادة الأولياء من دونه وعاب عليهم محاولتهم القربى والزلفى إليه تعالى بالأشخاص والعباد المخلوقين فكلا الأ مرين في الآية عيب وذنب. وكلاهما باطل وكذب وضلال وقال تعالى: (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) /37/ سبأ.

أي إن الذين يقربون عند الله درجاتٍ ومنازل عظيمة والذين تضاعف لهم حسناتهم إنما تضاعف بأعمالهم لا بالجاهات ولا ب

الوساطات.

قول ابن تيمية: (رحمه الله)

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجلين تناظرا فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل بغير ذلك: فأجاب رحمه الله:

الحمد لله رب العالمين: إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق. فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أعده لأوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محجوبون. ثم قال: وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم ويسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه فهو أعظم من الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء شفعاء يجتلبون المنافع ويدفعون بهم المضار. اهـ.

فتوى رسمية من مفتي الديار المصرية

نشرتها مجلة الإذاعة المصرية في 7/ 3/1957

سئل فضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون مفتي الديار المصرية سؤالين هامين عن زيارة الأضرحة والتوسل فأجاب فضيلته بما يلي:

س1 - ما حكم الشرع في زيارة الأضرحة - أضرحة الأولياء - و الطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء؟

ج1 - أود أن أذكر أولا ً أن أصل الدعوة الإسلامية يقوم على التوحيد والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله. ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق وهي رواسب جاهلية فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعي عليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - عبادتهم للأصنام قالوا له:

(ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فهي نفس التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه ومن مظاهر هذه الزيارات أفعال تتنافى مع عبادات إسلامية ثابتة ف الطواف في الإسلام والتقبيل في الإسلام لم يسن إلا للحجر الأسود وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يقبله: (والله لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت) فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أي مكان به حرام قطعاً.

وتأتي بعد ذلك الشفاعة وهذه هي في الآخرة غيرها في الدنيا ف الشفاعة ارتبطت في أذهاننا بما يحدث في هذه الحياة من توسط إنسان لآخر أخطأ عند رئيسه ومن بيده أمره يطلب إليه أن يغفر له هذا الخطأ وإن كان هذا المخطئ لا يستحق العفو والمغفرة غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة في الآخرة فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرتضي الله أن يشفعوا ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة وهؤلاء أيضاً يحددهم إذن فكل هذا متعلق بإذن الله وحكمه فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أي كان فإن هذا عبث لأننا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم ب الشفاعة ومن يشفع لهم.

وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة - غير الشرعية - والطواف حولها وتقبيل المقصورة والأعتاب والتوسل بالأولياء وطلب الشفاعة منهم كل هذا حرام قطعاً ومناف للشريعة أو فيه إشراك ب الله وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق فإن

الكثير من العامة بل ومن الخاصة ممن لم تتح لهم المعرفة الإسلامية الصحيحة يقعون فريسة الرواسب الجاهلية التي تتنافى مع الإسلام وإذا أخذ الناس بالرفق في هذا الأمر فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة لأن الجميع حريصون ولا شك على التعرف على حقائق دينهم.

س2 - هل يجوز النذر لغير الله مثل أن ينذر أحدهم نتائج ماشيته أو ريع أرضه أو مبلغاً من المال لأحد الأولياء؟ وهل يقر الإسلام هذه النذور؟

ج2 - وردت الآيات صريحة في أن النذر لا يجوز إلا لله والنذر لغير الله شرك فالنذر طاعة ولا طاعة لغير الله.

حسن مأمون

مفتي الديار المصرية

موضوع كتاب التوسل والوسيلة

لعل أحسن العبارات التي تقال في موضوع هذا الكتاب هي عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه.

قال - رحمه الله - في ص (244) من "التوسل" وفقرة (687) :
"فإن هذه القواعد المتعلقة بتقرير التوحيد، وحسم مادة الشرك و الغلو كلما تنوع بيانها ووضحت عباراتها، فإن ذلك نور على نور".

وقال - رحمه الله - وقد ذكر مصنفًا له ذكر فيه قواعد تتعلق بحكم الحكام.. "لإفراد الكلام في هذا الموضوع (يعني كتاب التوسل) على قواعد التوحيد ومتعلقاته". الفقرة (686) .

وقال في خاتمة ملحق هذا الكتاب فقرة (945) :

"فهذا آخر السؤال والجواب الذي أحببت إيراده هنا بألفاظه لما اشتمل عليه من المقاصد المهمة والقواعد النافعة في هذا الباب مع ا

لاختصار، فإن التوحيد، هو سر القرآن ولب الإيمان، وتنويع العبارة بوجوه الدلالات من أهم الأمور وأنفعها للعباد في مصالح المعاش و المعاد".

فهذا هو موضوع الكتاب. وضع قواعد ترمي إلى أسمى الغايات وهي:

أولا ً: تقرير التوحيد الذي أرسل الله من أجله تقريره جميع الرسل ، وأنزل من أجله جميع الكتب.

ثانياً: حسم مادة الشرك، الذي جاءت كلُّ الرسالات لحسمه ومحوه وتطهير الأرض والقلوب والنفوس من أقذاره وأدرانه.

ثالثاً: حسم مادة الغلو في أي ناحية من نواحي الدين العقائدية و التشريعية. قال تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق} سورة النساء، آية (171) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"

آمن هذا الإمام - وهو الحق - "بأن التوحيد هو سر القرآن ولب الإ يمان" فهو حري بأن توضح قواعده وأن تنوع فيه العبارات بوجوه الدلالات. حتى ترسخ عقيدة التوحيد واضحة جلية في نفوس وعقول الأمة الإسلامية، ويزول الغبش واللبس وتنقشع سحب الظلا م التي تعكسها كتابات وأعمال ودعايات من لا يدري ما هو التوحيد، وما هو الشرك فلا يعرفون ذلك من الكتاب ولا من السنة ولا من واقع الصحابة والتابعين لهم بإحسان فهم أبعد الناس وأعجزهم عن استخراج القواعد والمقاصد، لأصل دين الله - توحيد الله وإخلاص العبادة له وتطهيره من شوائب الشرك والضلال.

انطلق شيخ الإسلام في هذا الكتاب وغيره من مصنفاته العظيمة لتحقيق هذه الغايات الكبيرة، وهي منطلق جميع الأنبياء لتقرير التوحيد بكل أنواعه وقواعده وكلياته وجزئياته، ولحسم مادة

الشرك بكل أنواعه وأسبابه ووسائله، وسد أبواب الغلو وذرائعه.

وانطلق خصومه وخصوم دعوة الأنبياء من منطلق خصوم الأنبياء:

تغيظهم الدعوة إلى توحيد الله وإفراده سبحانه بالعبادة رغبة ورهبة وتوكلا ً.

وتغيظهم الدعوة إلى وصف الله بما وصف به نفسه من صفات الكمال والجلال في كتابه ووصفه به رسوله في سنته وآمن به سادة هذه الأمة وخير قرونها الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وتغيظهم الدعوة إلى هدم الشرك وحسم مواده وسد أبوابه وذرائعه.

وتزعجهم الدعوة إلى حسم باب الغلو الذي أهلك الأمم قبلنا ليقودوا هذه الأمة بمقاوماتهم للحق في كل هذه الميادين من هلاك إلى هلا ك ومن هزيمة إلى هزيمة ومن دمار إلى دمار في دينهم ودنياهم.

والفرق بين هذا الإمام الموحد المخلص وبين خصومه أنه رحمه الله يجعل من الكلام في التوسل والبحث فيه منطلقا إلى تحقيق التوحيد وإخلاصه لله وحده ودحض الشرك، والقضاء على وسائله وأسبابه. وخصومه يجعلون من التوسل منطلقاً إلى الشرك بالله وهدم قواعد التوحيد وتحريف نصوصه دفاعاً عن الشرك وذرائعه تحت ستار حب النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء والصالحين، و الدفاع في زعمهم عن مكانتهم التي زين لهم الشيطان أن الدعوة إلى توحيد الله وإلى إخلاص العبادة له والدعوة إلى محاربة الشرك في كل مظاهره تعني الحط من مكانة الأنبياء والأولياء.

ولكل قوم سلف فقد كان نوح يدعو إلى التوحيد ويحارب الشرك ولو كان بالصالحين كود وسواع ويغوث ويعوق وقد كان قومه الضالون يدافعون عن الشرك تحت شعار حب هؤلاء الصالحين ود وسواع ... إلخ ولقد قالوا في حماس: {وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا} سورة نوح، آية (23) .

إن هذا الإمام المجاهد المناضل عن التوحيد والحق قد وقف حياته للدعوة إلى الحق في ميادينه مدافعًا عنه بكل ما منحه اللّه من طاقات ومواهب، واضعًا نصب عينيه كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم، وما أثِر عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان في مجال العقيدة والعبادة والتشريع وسائر الميادين ا لإسلامية،

وفي هذا الكتاب الجليل قد عالج القضايا الآتية:

1 - التوسل وأنواعه وأشياء تتعلق وترتبط به.

2 - الشفاعة بأنواعها وأشياء تجر إليها من لا يفهم.

3 - الدعاء بأنواعه.

مفرقاً فيها بين الحق والباطل والهدى والضلال بالأدلة الواضحة و الحجج الساطعة.

منهج شيخ الإسلام في هذا الكتاب

إن هذا الإمام واسع الاطلاع، طويل الباع، عميق الفهم فهو الإمام الفذ في التفسير وعلومه، والحافظ الناقد في الحديث وعلومه، وهو الفقيه المبرز والأصولي المتمكن، والمجتهد المطلق، والعالم بـ الملل والنحل، والمنطق والفلسفة والتصوف والكلام، والعارف بأباطيلها وزيفها وغشها وخداعها.

عرف العلوم المسماة بالعقلية أكثر من أهلها المختصين فيها وعرف عيوبها وزيفها وخطرها وما تؤدي إليه من ضلال وهلاك، فوجه ما حباه اللّه به من طاقات، فزلزل قواعدها، ودك معاقلها.

وعرف التصوف وما ينطوي عليه من شرور وخرافات وأباطيل واصطلاحات فاسدة ومغالطات تفسد وتدمر الدين والعقل، فثلّ عروشه ودمر قواعده، وكشف تلك المغالطات بالحجج الواضحة و البراهين الساطعة.

وخرج من معاركه العلمية والجهادية ظافرًا منتصرًا انتصاراً حاسماً فلا ترى لخصومه إلى يومنا هذا إلا معارك فاشلة وحججاً متهاوية وكلاماً فارغاً إلا من المغالطات التي لا تنطلي إلا على الأغبياء.

ومن علامات هزائمهم أن كثيراً منهم يتظاهرون بمدحه واحترامه، ثم يكيدون لدعوته إلى التوحيد بنقل ما يزعمون أنه يؤيد باطلهم من كلامه بعد بتره وتشويهه.

هذا ما يقال بصفة إجمالية بالنسبة لجهوده في مؤلفاته الجليلة.

أمّا منهجه في هذا الكتاب فإنه يعرض القضية من القضايا ويدرسها من كل النواحي التي تتطلبها الدراسات العلمية؛ من الناحية اللغوية والتفسيرية والحديثية والتأريخية والأصولية والفقهية، ويضرب الأ مثال، ويقرب النظير من الأمور إلى نظيره بطريقة فذة تدل على غزارة علمه وقوة استحضاره وقدرته على استحضار الأمثال والأ شباه من المسائل وهذا شأنه في جميع مؤلفاته - رحمه الله -.

قال - رحمه الله - فيما يتعلق بلفظ التوسل فقرة (236) : "إذا عرف هذا فقد تبين أن لفظ الوسيلة والتوسل فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه ويعطى كل ذي حق حقه، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلم به الصحابة، ويفعلونه ومعنى ذلك، ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه. فإن كثيراً من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع فيه من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب".

ثم بين معاني التوسل والوسيلة في لغة القرآن والسنة وكلام الصحابة وأن من أعظم معاني التوسل التقرب إلى الله بالإيمان ب الله ورسله وكتبه واليوم الآخر والقيام بكل واجب ومستحب أمر الله به ورسله، وطاعة الرسول في كل ما أمر به ونهى عنه، وأن من معانيه: التوسل إلى الله بدعائه وشفاعته في حياته في الدنيا

وبدعائه وشفاعته في الحياة الأخرى وأثبت له أنواعاً من الشفاعة منها الشفاعة العظمى، وأن الصحابة إذا أطلقوا لفظ التوسل إنما يريدون به هذا.

وأن التوسل في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به، و السؤال به كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح.

وهذا هو التوسل المحدث المبتدع، والذي ليس له أصل في الكتاب والسنة ولا في عرف الصحابة ومن اتبعهم بإحسان وقد بين كل هذه الأنواع بياناً شافياً مفرقاً فيها بين الحق والباطل، هذه فكرة إجمالية عن موضوع الكتاب الأساسي.

وله جولات تتخلل بحوثه ومناقشاته العلمية؛ لغوية وتفسيرية وأصولية وفقهية وانتقادات حديثية وإلزامات جدلية يدعم بها وجهات نظره التي هداه الله إليها وسدد خطاه فيها ,وسيأتى ذلك مفصلا يقف عليه طالب العلم أثناء مدارسته للكتاب

وقبل أن نبدأ في دراسة الكتاب أود أن أذكر لمحة مختصرة عن حياة هذا الإمام عسى الله أن ينفع بها وتكون سبباً في علو همة ط لاب العلم العاملين

لمحة عن حياة الإمام ابن تيمية(661 - 728)

هو شيخ الإسلام ابن تيمية الإمام المحدث الحافظ الناقد والمفسر الغواص في معاني القرآن والمؤرخ المطلع على أحداث التاريخ المبرز في العلوم النقلية والعقلية على كبار المتخصصين فيها والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر الزاهد العابد المجاهد المظفر في ميادين القتال وفي ميادين الدفاع عن حياض الإسلام بالحجة و البرهان.

سيف الله المسلول على الفلاسفة والملحدين وعلى الغلاة المبتدعين، جندت كثير من الأقلام لترجمته وإبراز شخصيته الفذة

وسطرت في هذا الشأن عشرات من المجلدات (1) وفي ذلك ما يغني القارئ عن أن أترجم له في هذه المقدمة، غير أني أرى أن أتحف القارئ بشذرات مما زكاه به كبار علماء عصره تتناول بعض الجوانب من حياته وأن أعطيه فكرة مجملة عن كثرة مصنفاته الدالة على تبحره في العلوم وامتلاك نواصيها.

- قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت 744) : "هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر وقريع الدهر، شيخ الإسلام، وعلامة الزمان ترجمان القرآن، علم الزهاد، أوحد العباد وقامع المبتدعين وآخر المجتهدين، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن، عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلامة، شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات، عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني، نزيل دمشق، صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها" (1) .

2 - وقال الإمام الحافظ الفقيه الأديب ابن سيد الناس فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري المصري الشافعي: وهو يتحدث عن المزي: "وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظاً. إن تكلم في التفسير، فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه، فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالملل والنحل، لم ير أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته. برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه - وقال الإمام الحافظ الناقد أبو الحجاج يوسف المزي (ت742) :

ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب

الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه".

4 - وقال العلامة كمال الدين ابن الزملكاني:

"كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف، إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا قد عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين.. واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها" (1) .

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت 748) وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

"كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك رأساً في معرفة الكتاب والسنة، والاختلاف، بحراً في النقليات، هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وكثرة التصانيف وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه وتأهل للتدريس و الفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة وتقدم في علم الأصول وجميع علوم الإسلام: أصولها وفروعها، ودقها وجلها سوى علم القراءات فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا وسرد وأبلسوا واستغنى وأفلسوا وإن سمي المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سيناء يقدم الفلاسفة فلهم وتيّسهم وهتك أستارهم وكشف عوراهم وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كلمي أو ينبه على شأوه قلمي، فإن سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل أن توضع في مجلدتين وهو بشر من البشر له ذنوب فالله يغفر له ويسكنه أعلى الجنة فإنه كان رباني الأمة فريد الزمان وحامل لواء الشريعة وصاحب معضلا

ات المسلمين، وكان رأسا في العلم يبالغ في إطراء قيامه في الحق، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغة ما رأيتها ولا شاهدتها من أحد، ولا لحظتها من فقيه.

وقال في مكان آخر: قلت: وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل وبالصحيح وبالسقيم مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه وهو عجب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال: "كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث" لكن الإحاطة لله غير أن يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي.

وأما التفسير فمسلم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن - وقت إقامة الدليل بها على المسألة - قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحير فيه،

ولفرط إمامته في التفسير وعظم إطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ويوهي أقوالا ً عديدة وينصر قولا ً واحدًا موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث.

ويكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحوًا من أربعة كراريس أو أزيد، وما أبعد أن تصانيفه الآن تبلغ خمسمائة مجلدة، وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد .

شيوخه

بلغ عدد شيوخه أكثر من مائتي شيخ، من أبرزهم والده عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت 682) ، والمحدث أبو العباس أحمد ابن عبد الدائم (ت668) ، وابن أبي اليسر، والشيخ شمس الدين عبد

الرحمن المقدسي الحنبلي (ت689) ، وابن الظاهري الحافظ أبو العباس الحلبي الحنفي (ت690) .

تلاميذه

أمّا تلاميذه فلا يحصون كثرة، فمن تلاميذه البارزين والمبرزين:

1 - شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية المتوفى سنة (751)

2- والحافظ أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عبد الهادي(ت 744) .

3 - والحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي المتوفى (742) .

4 - والحافظ المؤرخ أبو عبد اللّه محمد بن عثمان الذهبي (ت748) .

5 - وأبو الفتح ابن سيد الناس محمد بن محمد اليعمري المصري (ت 734) .

6 - والحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي (ت739) .

مؤلفاته:

إن مؤلفات هذا الإمام كثيرة جداً بحيث عجز تلاميذه ومحبوه عن إحصائها، قال تلميذه النجيب شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر المشهور بابن القيم - رحمه اللّه -:

"أما بعد: فإن جماعة من محبي السنة والعلم سألني أن أذكر له ما ألفه الشيخ الإمام العلامة الحافظ أوحد زمانه، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية - رضي اللّه عنه - فذكرت لهم أني عجزت عن حصرها وتعدادها لوجوه أبديتها لبعضهم وسأذكرها إن شاء اللّه فيما بعد ... ".

ثم قال:

1 - "فمما رأيته في التفسير" فذكر اثنين وتسعين مؤلفا ما بين رسالة وقاعدة .

2 - قال: "ومما صنفه في الأصول مبتدئًا أو مجيباً لمعترض أو سائل" فذكر عشرين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة وقاعدة

3 - ثم قال: "قواعد وفتاوى" فذكر خمسة وأربعين ومائة ما بين كتاب وقاعدة ورسالة .

4 - "الكتب الفقهية" وسرد خمسة وخمسين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة وقاعدة .

5 - "وصايا وإجازات ورسائل تتضمن علوماً" بلغت اثنتين وعشرين .

وذكر الحافظ ابن عبد الهادي كثيرًا من مؤلفات شيخ الإسلام مع ذكر نماذج لبعض المؤلفات والتنويه بمكانتها في كتابه العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية.

هذه لمحة خاطفة عن حياة هذا الإمام العظيم - رحمه الله - وأسكنه فسيح جناته.ونفعنا بعلمه وتقريراته آمين

مراجع للتوسع في بحث المسألة

1- شرح وتحقيق كتاب قاعدة جليلة للشيخ ناصر العقل و الشيخ ربيع المدخلى والشيخ الأرناؤط

2- كتاب التوسل أنواعة وأحكامه للشيخ الألبانى رحمه الله

3- كتاب التوسل للشيخ محمد عيد العباسى

4- كتاب التوسل المشروع والممنوع مطبوعات الدعوة والإ رشاد

5- كتاب التوسل في كتاب الله للشيخ طلال مصطفى عرقسوس

6- التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعى

7- المفهوم الصحيح للتوسل للشيخ حماد محمد الأنصارى

8- الموسوعة العقدية الدرر السنية اشراف الشيخ علوى السقاف

9- شروحات أئمة الدعوة لكتاب التوحيد مبحث التوسل و الشفاعة

10- دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام بن تيمية عبد العزيز عبد اللطيف